

القلب

للاستاذ أحمد أمين

فان لكل انسان قلبا وحده ، ينبض بنوع من حب وكره ، وقسوة وحنان ، وإعظام واحتقار ، ورفعة وانحطاط ، لا يشركه فيه قلب آخر — وبهذا ، وبهذا وحده . اختلفت قيم الناس وتعددت مراتبهم

يموت القلب ثم يحيا ، ويحيا ثم يموت ، ويرتفع الى الأوج ، ويهبط الى الحضيض ، وبينما هو يسامى النجوم رفعة ، اذا به قد لامس القاع ضعة ، وهكذا يتذبذب في لحظة بين السماء والأرض ، والطول والعرض ، وخير الناس من احتفظ برفعة قلبه ، وسمو نفسه

هو ان شئت فردوس ، وإن شئت جحيم ، هو ان شئت ملك ، وان شئت شيطان ، هو ان شئت نار تتقد بالحب هل الوجد الا ان قلبي لودنا من الجرقيدالريح لاحتقر الجمر هل الحب الازفرة بعد زفرة — وحر على الأحشاء ليس له برّد وفيض دموع العين يامى كلما بداعام من أرضكم لم يكن يبدو وان شئت سلا فكان برّدا وسلاما

وقلت لقلبي حين لج به الهوى وكلفنى مالا أطيق من الحب الا أيها القلب الذى قاده الهوى أفق لا أقر الله عينك من قلب القلب مركز العاطفة ، والرأس مركز العقل ، وما العقل لولا العاطفة ؟ إن العقل أكثر ما ينفع للهدم ، والقلب أكثر ما ينفع للبناء ، إن القلب يؤمن ، والعقل يلحد ، والقلب يحب والعقل يحذر

نصحتك علما بالهوى والذى أرى مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو القلب يؤسس العالم ، والعقل يسكنه ، والقلب يخلق الشيء والعقل يغصبه ، سلى التاريخ أليس أعظم بناء العالم قد امتازوا بكبر القلب ، وصدق الشعور ، وقوة الارادة ، أكثر ما امتازوا بسعة العقل وقوة الإدراك ؟

القلب بنى البناء والعقل نقده ، والقلب أحيى الشعور والعقل حدّه ، هل تعلمين — يا آنسة — أن من وجد كل شيء وفقد قلبه لم يجد شيئا — وان من جرد من قلبه لا يعرف صداقة ولا يدين بوطنية ولا يشعر بحنان ، ولا ينطوى على ايمان ؟

أوتعلمين أن من سلب القلب فقد سلب الفن والأدب ، لأن الفن مناطه القلب ، والعلم مناطه العقل ؟ وقد سئل مصور ماهر كيف تمزج ألوانك ؟ فقال : أمزجها بدم قلبي . وكذلك الأدب الحق ، هو ما كان ذوب القلب

يا آنسة لقد رميت فأصميت ، ولشد ما خفق قلبي لسببتك ، كانه يريد أن يثبت وجوده !

رمتنى آنسة فى جريدة الأهرام « بأن لا قلب لى ، وان كان فليس يخفق » ، لأنى كتبت موضوعا فى مجلة الرسالة عنوانه « أدب القوة وأدب الضعف » سميت فيه الأدب الذى يضعف النفس ويمرض العاطفة أدبا ضعيفا مائعا لك الله يا آنسة ! أفتردين أن أشنع سبة يسب بها إنسان : أنه لا قلب له ؟ وهل المرء ألا قلبه ؟

ليس الانسان جسما بعضه القلب لكنه ، قلب غلافه الجسم لقد قالوا : « إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه » ولكنهم - بقولهم - قد رفعوا من شأن اللسان حتى قرنوه بالقلب ، ووضعوا من قيمة القلب اذ قرنوه باللسان ، وهل اللسان إلا حاك بكى لأحط حركات القلب وانفعالاته ؟ وكيف يعبر المحدث عن القديم ؟ أم كيف يحيط المحدود باللامحدود ؟ وأين يقع معجم اللغة من معجم العالم ؟

إن القلب يقرأ ما رسمه الله على السماء والأرض من أشعار ، ولا يسمح منها للسان الا بالقليل التافه ، وما الشعر الملفوظ بجانب الشعر المحسوس ؟

القلب لا يكذب أبدا واللسان لا يصدق الا قليلا ، لعلك يا آنسة إن قششت عن أعجب ما خلق الله فى السماء وفى الأرض لم تجدى أعجب ولا أروع ولا أدق ولا أجمل من قلب الانسان — تصلح أوتاره فيفيض رحمة وشفقة وحباً وحناناً ، ومعانى لطافاً وشعورا رقيقا ، حتى يتجاوز فى سموه الملائكة المقربين ، وتفسد أوتاره فينضح قسوة وسوءا حتى يهوى الى أسفل سافلين

حوى على دقته كنه العالم ! فما أدقه واجله وما أصغره وأعظمه ! يكبر — ولا نرى كبره — فيتضاءل أمامه كل كبير ، ويصغر — ولا نرى صغره — فيتعاظم عليه كل صغير

اتحد شكل القلب واختلفت معانيه ، فقلب كالجوهر الكريم صفا لونه ، وراق ماؤه ، يتلقى الأشعاع ويعكسه وهو على أشد ما يكون ضوءاً ولمعانا ، وقلب كالصخر قوى متين ، ينفع ولا يلعب ، وقلب هواء ، خف وزنه ، وحال لونه — وقلب ... وقلب ... مما لا يحصى الا خالقها — إن اتحدت عيون الناس وآذانهم ووجوههم ورءوسهم نوعا من الاتحاد